بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(من أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم)

الخطبة الأولى

إنَّ الحمد لله نحمدهُ ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدهُ لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد: فاتقوا الله عباد الله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

اتقوا الله وراقبوه، واعلموا أنكم موقوفون بين يديه في: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.

عباد الله: يقول الله جلَّ وعلا: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: « هذه الآية أصلٌ كبيرٌ في التأسي بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أقواله وأفعاله وأحواله».

فما أحرانا عباد الله أن نتأسَّى بنبينا صلى الله عليه وسلم، فهو قدوتنا وأسوتنا، نتأسَّى به في أخلاقه عليه الصلاة والسلام، فإنَّه أحسن الناس خُلُقاً.

جاء في الصحيحين عن أنسٍ رضي الله عنه قال: « كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحسنَ الناس خُلقًا »، وعن صفية رضي الله عنها قالت:« مَا رَأَيْتُ أَحْسَنَ خُلُقًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» رواه الطبراني في الأوسط بإسنادٍ حسن.

وقد قال الله جلَّ وعلا مادحاً خُلق نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظيمٍ﴾. قالت عائشة رضي الله عنها لما سُئلت عن خلق النبي صلى الله عليه وسلم قالت: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ» صلى الله عليه وسلم يمتثل الأوامر ويجتنب النواهي.

فعلينا عباد الله أن نحرص على الخُلق الحسن، ونتأسى بخير خلق الله، وأشرف عباد الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، فكان واجباً علينا عباد الله محبته صلى الله عليه وسلم؛ حتى يكون أحب إلينا من آبائنا، وأبنائنا، وأمهاتنا، وأزواجنا، كما قال الله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَولى بِالمُؤمِنينَ مِن أَنفُسِهِم﴾.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِين ».

ومما يجب علينا أن نعلمه أنَّ محبة النبي صلى الله عليه وسلم تابعة لمحبة الله، قال الله سبحانه: ﴿قُل إِن كُنتُم تُحِبّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعوني يُحبِبكُمُ اللَّهُ وَيَغفِر لَكُم ذُنوبَكُم﴾. نحبه صلى الله عليه وسلم حيث إنَّ الله تعالى أحبه، واختاره من خلقه، فحب ما يحب الله من لوازم محبته.

وقد جاء في الحديث في صحيح مسلم، عن واثلة بن الأسقع قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ».

أكرمه الله تعالى بشرح صدره، ووضع وزره، ورفع ذكره، وإعلاء قدره، شرفه الله تعالى بمقام الخُلة، فهو خليل الرحمن صلى الله عليه وسلم جعله الله تعالى رحمةً للعالمين، فقال جلَّ وعلا: ﴿وَما أَرسَلناكَ إِلّا رَحمَةً لِلعالَمينَ﴾.

شرَّفه الله تعالى وكرَّمه صلى الله عليه وسلم، جعل له من كمال الرأفة والرحمة بأمته، قال سبحانه: ﴿لَقَد جاءَكُم رَسولٌ مِن أَنفُسِكُم عَزيزٌ عَلَيهِ ما عَنِتُّم حَريصٌ عَلَيكُم بِالمُؤمِنينَ رَءوفٌ رَحيمٌ﴾.

جعل له كمال النصح لأُمته، والحرص على هدايتهم صلى الله عليه وسلم، وإحسانه إليهم، يقول سبحانه: ﴿لَقَد مَنَّ اللَّهُ عَلَى المُؤمِنينَ إِذ بَعَثَ فيهِم رَسولًا مِن أَنفُسِهِم يَتلو عَلَيهِم آياتِهِ وَيُزَكّيهِم وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتابَ وَالحِكمَةَ﴾. خصه الله تعالى بكريم الخصال، ورفيع الأخلاق صلى الله عليه وسلم.

من مظاهر محبته صلى الله عليه وسلم: طاعته عليه الصلاة والسلام، قال سبحانه: ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنوا أَطيعُوا اللَّهَ وَأَطيعُوا الرَّسولَ وَأُولِي الأَمرِ مِنكُم﴾، وقال سبحانه: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسولَ فَقَد أَطاعَ اللَّهَ﴾.

من كمال محبته صلى الله عليه وسلم وحسن التأسِّي به الاقتداء به في أخلاقه ، فمن أخلاقه الرحمة والشفقة، فعند موت ابنه إبراهيم بكى صلى الله عليه وسلم، وقال: « إِنَّ الْعَيْنَ لَتَدْمَعُ وَالْقَلْبَ لَيَحْزَنُ وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ ».

كان عليه الصلاة والسلام كثير الحياء، كما جاء في الصحيحين: « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ العَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، فَإِذَا رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ ».

لم يكن عليه الصلاة والسلام فاحشاً ولا متفحشاً، كان يقول صلى الله عليه وسلم: « إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاَقًا ».

كان عليه الصلاة والسلام متواضعًا، كما في الصحيح، قال صلى الله عليه وسلم: «لاَ تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ».

كان عليه الصلاة والسلام –كما تقول عائشة–: « كان يَخِيطُ ثَوْبَهُ، وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيَعْمَلُ مَا يَعْمَلُ الرِّجَالُ فِي بُيُوتِهِمْ ».

من دلائل شدة محبته واحترامه، وحبه لزوجته خديجة رضي الله عنها: « أنه كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيَذْبَحُ الشَّاةَ ثم يُهْدِيهَا إلى صديقاتها»، وذلك بعد مماتها، وعن البراء رضي الله عنه قال: « رأيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم الأحزاب يَنْقُلُ التُّرَابَ، وقد وَارَى التُّرَابُ جِلْدَةَ بَطْنِهِ، وهو يَقُولُ: إِنَّ الْأُلَى قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا، إذا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا ».

كان النبي صلى الله عليه وسلم –كما يقول أنس–: « يمرُّ بالصِّبيان فيسلم عليهم ».

يقول أنس رضي الله عنه: « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُ المَرِيضَ، وَيَشْهَدُ الجَنَازَةَ، ويأتي دعوة المملوك، وَيَرْكَبُ الحِمَارَ».

هذه أخلاق نبينا صلى الله عليه وسلم، فما أحرانا عباد الله أن نتأسَّى بنبينا عليه الصلاة والسلام، فهو صاحب الخُلق الرفيع، حيث كان خلقه القرآن، فعلينا أن نتأمل القرآن؛ نمتثل الأوامر، ونجتنب النواهي، ونتأسى بأخلاقه صلوات ربي وسلامه عليه.

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، أَقُولُ هَذَا الْقَوْلَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ؛ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، ونصلي ونسلم على خير خلق الله وأشرف عباد الله، محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه.

أما بعد عباد الله: من حُسن خُلقه صلى الله عليه وسلم شفقته بأُمته ورحمته بهم، ففي الصحيحين عن أنس أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: « إِنِّي لَأَدْخُلُ فِي الصَّلاَةِ، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَأَتَجَوَّزُ – أي: أُخفف– مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ مِنْ بُكَائِهِ».

من ذلك عباد الله: الأعرابي الذي بَالَ في طائفة المسجد فنهره بعض الصحابة، فقال صلى الله عليه وسلم: «لا تزرموه»، لا تقطعوا عليه بوله، ثم قال للأعرابي: « إِنَّ هذِهِ الْمَسَاجِدَ لاَ يَصْلُحُ فيها شَيْءٍ مِنْ الْقَذَرِ، إِنَّمَا هي للصَّلاَةِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ».

كذلك أخلاقهُ مع الخدم صلى الله عليه وسلم، يقول أنس بن مالك: «خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ سِنِينَ، وَاللَّهِ مَا قَالَ لِي أُفًّا قَطُّ، وَلَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا؟ وَهَلاَّ فَعَلْتَ كَذَا؟».

كان صلى الله عليه وسلم حليماً ذا صفح، جاء في الصحيحين من حديث أنسٍ رضي الله عنه قال: « كُنتُ أَمْشِي مَعَ رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غلِيظُ الحَاشِيةِ، فأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ حتى أَثَّرَتْ في صَفْحَةِ عنق النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أعطني مِن مالِ اللَّهِ الَّذِي عِندَكَ». وجاء في بعض الروايات أنَّه قال: « ليس في مال أبيك ولا أمك». «فالتَفَتَ إِلَيْه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم ضَحِكَ، ثُمَّ أَمر لَهُ بعَطَاءٍ ».

كان النبي صلى الله عليه وسلم يداعب أصحابه ويمازحهم، ولكن يقول صلى الله عليه وسلم: « والله إني لأمزح، ولكني لا أكذب»، وفي لفظٍ: «ولكني لا أقول إلا حقاً».

كان عليه الصلاة والسلام أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان.

كان النبي صلى الله عليه وسلم أشجع الناس، كما يقول أنس رضي الله عنه: « كان رسول الله أشجع الناس». فزع أهل المدينة يوماً فخرجوا ينظرون إلى هذا الصوت، فإذا النبي صلى الله عليه وسلم راجعٌ قد ذهب إلى الصوت على خيلٍ بدون سرج، وهو يقول لهم: «لن تراعوا لن تراعوا» يعني لا تخافوا.

وفي يوم حنين كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب»، ويقول علي رضي الله عنه: «كُنَّا إذا اشتد البأس نتقي برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

الله الله عباد الله، أن نتأسَّى بهذه الأخلاق الرفيعة في تعاملاتنا، في أخلاقنا مع أهلينا، مع أزواجنا، مع أبنائنا، مع جيراننا، مع مجتمعنا، في عملنا نتأسَّى بهذه الأخلاق، يقول جرير بن عبد الله: «مَا حَجَبَنِي رسول الله مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلَا رَآنِي إِلَّا تَبَسَّمَ لي».

أخلاقٌ عالية، آداب رفيعة، حريٌّ بنا بأن نتأسَّى به، ومن أكثر ما يدخل الجنة كما قال صلى الله عليه وسلم: «تقوى الله وحسن الخلق من أكثر ما يدخل العبد الجنة».

اللهُمَّ أعزَّ الْإِسْلاَمِ وَالْمُسْلِمِينَ، وأَذِلَّ الشِّرْكَ والْمُشْرِكِين، وَاحْمِ حَوْزَةَ الدِّين.

اللهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَنِنَا، وَأَصْلِح أَئِمَّتَنَا وَوُلَاةَ أُمُورِنَا.

اللهُمَّ وفق جميع ولاة المسلمين للعمل بكتابك، واتباع سنة نبيك، وتحكيم شرعك.

اللهُمَّ وَفِّق إِمَامَنَا خَادِمَ الْحَرَمَيْنِ لِما فِيه عِزُّ الْإِسْلاَمَ وَصَلاَحُ الْمُسْلِمِين.

اللهُمَّ وَفِّقْهُ وَوَلِيَّ عَهْدِهِ وَإِخْوَانَه وَأَعْوَانَه لِما تُحِبُّهُ وتَرْضَاه.

اللهُمَّ احفظ جنودنا المرابطين ورجال أمننا، وسدد رميهم يا رب العالمين.

اللهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتَك، وَتَحَوُّل عَافِيَتك، وَفُجَاءَة نَقِمَتِك، وَجَمِيع سَخَطِك.

عباد الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأمُرُ بِالعَدلِ وَالإِحسانِ وَإيتاءِ ذِي القُربى وَيَنهى عَنِ الفَحشاءِ وَالمُنكَرِ وَالبَغيِ يَعِظُكُم لَعَلَّكُم تَذَكَّرونَ﴾.

فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

جمع وتنسيق/ عبد الله بن محمد حسين النجمي

خطيب جامع الحارة الجنوبية بالنجامية بمنطقة جازان